

سورة سبأ

obeikandi.com

﴿سورة سبأ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَلِمِ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابِ

﴿مُبِينٍ﴾

نعم قد أحاط سبحانه بأحجام الأغيار بلا توقف على دقة الحجم ولا كبره.

أقول: واعلم أنه قد ثبت علمياً أنه لا يوجد صغر في الكون ولا كبر، بل أنه كلما اكتشف العلماء حجماً أصغر في النواة الكونية تعرفوا فيها لما هو أدق، وهذا دال على أنه سبحانه لا يعرف خلقه غيره، وأن العقل الآدمي ضعيف أمام اكتشاف صنعته سبحانه، فكيف به هو نفسه عز وجل؟ ولهذا حببنا نبينا محمد ﷺ أن نتفكر في آلاء الله وخلقته ولا نتفكر في ذاته هو سبحانه.

وإذا كان العلم البشري عاجزاً أمام الصنعة الإلهية فكيف يحق له أن يتفكر في صاحب الصنعة ويطلب التعمق في ذلك.

ومن هنا بين سبحانه في هذا الآية إطلاق الصغر في الذرة فقال: لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك.

ولو جئنا بعالم كافر في الفيزياء وقلنا له: هل تستطيع أن تحدد لنا أصغر جسم في النواة؟ لكان رده: لا أستطيع، لأنه ربما ظهر في تقسيم نواة الذرة مستقبلاً ما هو أدق من الجسم المعروف لدينا حالياً،

وما تعجز الأجهزة العلمية مهما تطورت — الآن أو فيما بعد — عن اكتشاف أصغر جسم في نواة الذرة. وكذلك الحال إذا سألناه عن أكبر جرم في الوجود، لقابل ذلك بالرفض والعجز أمام حقيقة ذلك السؤال، والفتحة السوداء خير دليل على كلامنا هذا، فهي التي تبتلع مجرات الوجود ونجومه ويضيع فيها كل شئ واسأل علماء الفلك عنها، ولا ينبأك مثل خبير .

وإذا رجعنا إلى حقيقة المكان الكوني عجزنا أمام هذا السؤال، إذ في الحقيقة لا مكان، فالكون يتمدد في المجهول الغامض، وكان شيخنا الشريف رحمه الله ينكر المكان ويغضب ممن يذكر هذا أمامه ويقول له: حدد لي المكان إن شئت .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَنجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۖ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٦﴾ أَنِ اعْمَلْ سَبِغًا وَقَدِرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧﴾ وَلَسْلِمْنَا أَلرَّيْحَ غُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٨﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبَ وَتَمْثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۖ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ۖ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٩﴾ ﴾

هو تسخير كوني للنائب عن الله عز وجل وهو القطب، وقد يكون هذا التسخير لمن هو أقل درجة من القطب، وكبار العارفين لا يشغلون

أنفسهم بالتسخير الكوني، فبعضهم يعتبره حجاباً عن الله وشغلاً عنه .
**﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ
 عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ
 الْكَبِيرُ﴾**

فالشفعاء الإلهيون الحقيقيون، هم من بلغت درجة نقائهم أن لا تمسك عليهم غلطة واحدة ولا هفوة ولا زلة، ذلك لكونهم شفعاء الله في الكون في خلقه وقد ارتضاهم هم ورفض غيرهم ممن عداهم .
 ومن العارفين من يشفعه الله في أهل عصره، وليس ذلك على الله بعزيز، أمثال شيخنا سيدي أحمد التجاني رحمه الله، وقد شفع الله سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في أهل عصره وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما .

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

أى أن الأجر الذى يطلبه الأنبياء من أقوامهم كالإنفاق والجهاد فى سبيل الله وإطعام المساكين ليس لهم فى حقيقة أمره، وإنما هو للمنفق، وما طلب الأنبياء الأجر إلا من الله عز وجل، لكون الحق سبحانه لا يعطيهم الأجر المادى الذى يطمع فيه البشر .

وإنما نظر البشر إلى الأجر فى هذه الدار على أنه أخذ وقبض، فإن الأنبياء لم يهتمهم ذلك الأخذ والقبض، فربما أعطوا ولم يقبضوا ولم يأخذوا بلا اهتمام للمقابل المادى تاذى يراه البشر، ولذلك لم يحب

المربون والدعاة إلى الله عز وجل من يخاطبهم بلغة المقابل — وهي لغة لأجل أن أعطيك كذا يجب أن تعطيني كذا — وكرهوا وبغضوا هذه اللغة .

ومن خاطبهم بهذه اللغة نزل من نظرهم .

ولذلك بلغت حساسية العارفين في ترك الأجر على الأعمال أن علم الحضر عليه السلام موسى بهذه المزية ورفض أن يأخذ أجراً على إقامة الجدار، فلما عارضه موسى بطلب الأجر ذكره بأنه قد فعل نفس الفعل مع ابنتي شعيب عليه السلام لما سقى لهما بدون أجر، ومن بلغت هذه منزلته قيل له: أنفق بكن، فلا يحتاج بعدها إلى مادة وجودية ينفق منها، وهذا لمن ينفق من الغيب من العارفين أمثال شيخنا محمد الحافظ التجاني رحمه الله .